

تزايد العنف بتونس: المظاهر والخلفيات

عبد المجيد الجمل

باحث تونسي



قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة



على سبيل التقديم:

شهدت تونس تزايداً لافتاً للعنف منذ 14 يناير إلى اليوم. وقد اتخذ ذلك أشكالاً متعددة، مثل العنف المادي الذي بُرِزَ من خلال الاعتداء على الفنانين وعلى الأحزاب السياسية، ووصل العنف إلى أقصاه من خلال السحل والقتل. بدا ذلك من خلال سحل لطفي نفسي¹، وكذلك اغتيال شكري بلعيد²، وال حاج محمد البراهمي³. ولقد مثّلت هذه الاغتيالات صدمة عنيفة للمجتمع المدني والقوى الديمقراطية التي لم تكن تتصور أبداً أن يصل الصراع والاختلاف السياسي إلى هذا الوضع الدرامي.

إن العنف في المشهد السياسي التونسي لم يقتصر على الجانب المادي، بل شمل أيضاً العديد من المظاهر الأخرى، مثل عنف الخطاب الديني والسياسي، حيث استغل البعض المنسوب المرتفع جداً للحرّيات الدينية والسياسية وكذلك حرية الكتابة والتعبير لنشر خطاب عنيف أسلهم في توفير أرضية ملائمة للعنف والحدّ بتونس.

وفي هذا السياق، سناحول أن نتعرّض لمفهوم العنف ومظاهره، وفي القسم الثاني لأسباب تزايد العنف وخلفياته.

¹- لطفي نفسي، رئيس الاتحاد الجهوي لل فلاحين بتطاوين، بعد عودته من فرنسا، انضم لنداء تونس. تم سحله من قبل متظاهرين يوم الجمعة 19 أكتوبر 2012 محسوبين على حركة النهضة وحزب المؤتمر وحركة الشعب.

²- شكري بلعيد (1964-2012)، مناضل يساري عرف بنشاطه ضد البكتاتورية، سواء في الجامعة أو بعد انضمامه إلى سلك المحاماة. وبعد 14 جانفي 2011 معروفاً بمواقفه النقية والمتصلبة ضد الحكومة الجديدة. وخصوصاً حركة النهضة، مما جعله يتعرض لحملة منظمة من قبل أئمة المساجد الموالين لحركة النهضة؛ حيث وصل الأمر بالبعض في ولاية قابس إلى حد توزيع المنشورات بعد اغتياله في 6 فيفري 2011

³- الحاج محمد البراهمي (1955-2013) ولد في 15 ماي 1955 بمنطقة الحشانة بولية سيدي بوزيد. وحصل على الإجازة في المحاسبة بتونس سنة 1982 بالمعهد الأعلى للتصرف. وعمل مدرساً بمنزل بورقيبة، ثم بالوكالة العقارية للسكنى، ثم هاجر إلى السعودية، حيث عمل عدة سنوات وقام أيضاً بأداء مناسك الحج. تم انتخابه في أكتوبر 2011 نائباً بال مجلس التأسيسي ضمن قائمة حركة الشعب ذات التوجهات القومية الناصرية، حيث كان أميناً لها العام. وعرف بمواقفه المناهضة لحركة النهضة ولحركة الإخوان المسلمين بصفة عامة. وهذا ما جعله يستقيل من حركة الشعب المعروفة بقرب الكثير من قياداتها من حزب النهضة والمؤتمر من أجل الجمهورية. وهذا ما جعل الحاج البراهمي يؤسس في 7 جويلية 2013، أي قبل اغتياله بحوالي أسبوعين التيار الشعبي التونسي الذي أعلن انضمامه إلى الجبهة الشعبية، مما دعم قوى المعارضة اليسارية. وزاد في عزلة حركة النهضة. وقد تم اغتياله يوم 25 جويلية 2013 بحي الغزالة بتونس العاصمة مما مثل ضربة جديدة لانتقال الديمقراطي وعمق الأزمة السياسية بتونس.

التعريف بالعنف ومظاهره:

1- مفهوم العنف وجذوره:

(أ) مفهوم العنف:

لغة: عنف يعني عنيفاً عليه، أخذه بشدة وقسوة. والمقصود بالعنف: "استخدام القوة استخداماً غير مشروع وغير مطابق للقانون"⁴، أما أندرى للاند، فيقدم أيضاً تعريفاً قريباً من التعريف اللغوي، فقد اعتبره "الاستعمال غير المشروع، أو على الأقل غير القانوني للقوة".⁵

أما على المستوى الجنائي، فإن البعض يعرفه بأنه المس بسلامة الجسم حتى لو لم يكن جسيماً، بل كان في صورة تعدّ إيزاء، في حين يعرّفه آخر في تجسيد الطاقة والقوى المادية في الإضرار المادي بشخص آخر. وأخرون يعرّفونه "بأنه الجرائم التي تستخدم فيها أية وسيلة تتسم بالشدة للاعتداء على شخص الإنسان أو عرضه".

أما على المستوى السياسي، فيقصد بالعنف: "كل سلوك يخرج عن القانون ويريد التأثير في العملية السياسية من خلال استعمال القوة أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية أو التأثير في سياسة الحكومة أو الأطراف المرتبطة بها".

(ب) جذوره:

إن العنف بصفة عامة ظاهرة قديمة. أما على المستوى السياسي، فإن التاريخ العربي يعج بأحداث العنف والاغتيالات، فمثلاً تأسيس نظام الخلافة الإسلامية، رافقه العديد من مظاهر العنف، ومن بينها ما وقع لسعد بن عبادة الذي اعتبر أن "الأنصار" أولى بالخلافة، لكن القريشيين بقيادة عمر رفضوا ذلك. وفي هذا السياق، لا بد من التذكير بأنه قبل أن يتم دفن الرسول محمد بن عبد الله، دار صراع عنيف على السلطة، حيث انتقل العديد من أنصار الرسول الأكرم إلى سقيفةبني ساعدة، وبدؤوا يتحاورون حول مسألة انتقال السلطة، فسمع عمر بذلك، فالتحق إلى جانب أبي بكر بالسقيفة، مما جعلها تتحول إلى حلبة صراع وعنف سياسي غير مسبوق.

⁴- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989، ص 872

⁵- André (L), Vocabulaire technique et critique de la philosophie, PUF, 1210 Paris 1996, p

ومما ذكره أبو جعفر بن جرير الطبرى حول هذه المسألة: "قال هشام: .. عن أبي مخنف قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل الناس من كل جانب يبایعون أبا بكر، وكادوا يطأتون سعد بن عبادة، فقال أنس من أصحاب سعد: اتقوا، فقال عمر اقتلوه، قتله الله، ثم قام على رأسه، وقال: هممت أن أطأك حتى تتضد عضدك، فأخذ سعد بلحية عمر وقال له: والله لو حصلت منه شرة ما رجعت وفي فيك واصحة.."⁶

إن هذه الشهادة تبيّن أن المجتمع العربي الإسلامي، لا سيما فترة الخلافة، ليس كما تتصوّره جماعات الإسلام السياسي مثلاً خالياً من العنف، بل بدأ بالعنف وتدعّم ذلك أثناء فترة الخلافة. والدليل على ذلك أن كلاً من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب تم قتلهم لأسباب مختلفة، من بينها العنف السياسي الديني.⁷

أما في الفترات الحديثة والمعاصرة، فإن العنف السياسي كان رهيباً أثناء عدة فترات، مثل الدولة المراديّة بتونس، حيث تم في 13 يوليو 1695 قتل الداي محمد طاطار من قبل الباي المرادي محمد باي. وتكرّر سيناريو القتل والاغتيال أكثر من مرّة في تاريخ تونس الحديث، فمثلاً سنة 1702 قام إبراهيم الشريف باغتيال مراد باي.⁸

وأثناء فترة الدولة الحسينية (1705-1881) يمكن أن نذكر النهاية الدرامية لحسين بن علي الذي تم اغتياله بطريقة بشعة من قبل يونس باي بمدينة القفروان في 13 ماي 1740، وذلك في إطار الصراع الباشي الحسيني، مما جعل السلطة تؤول إلى علي باشا ابن أخي حسين بن علي.⁹

أما بين 1956 و 2010، فإن التاريخ السياسي لدولة الاستقلال وحكم الجنرال زين العابدين بن علي (1987-2011) يعجّ بالعديد من مظاهر العنف السياسي تجاه المعارضين؛ بالإضافة إلى التعذيب والاغتيالات، كانت السلطة تقوم بإقصاء المعارضين وتشويههم، وقطع أرزاقهم، مما يجعلهم في قطيعة مع العامة.

وما أشبه الليلة بالبارحة! وبعد 14 يناير 2011، تعرض المعارضون بدورهم للاغتيال، مثل شكري بلعيد، ومحمد البراهمي، ولطفي نقض...

⁶ أبو جعفر جرير بن محمد الطبرى، تاريخ الطبرى، دار صادر بيروت، المجلد الثاني، ص 516

⁷ المصدر السابق نفسه، المجلد الثاني والثالث.

⁸ دلنة لرقش، عبدالحميد لرقش، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، مديا كوم 2003، ص 422

⁹ المرجع السابق نفسه، ص 426



2- تنوّع أشكال العنف بتونس:

أ) العنف السياسي: بُرِزَ عَلَى العَدِيدِ مِنَ الْمَسْطُوِيَاتِ مِنْ بَيْنِهَا

الاغتيال السياسي: يُعتبر من أكثر أشكال العنف التي هَزَّتْ تونس بعد 23 أكتوبر 2011، وذلك من خلال اغتيال لطفي نقض بتطاوين يوم 19 أكتوبر 2011، حيث مثُلَّ أَوْلَ اغتيال سياسِيٍّ بعد الثورة. ولقد أُعلنَ عن منعرجٍ جديداً في العلاقات بين الفرقاء السياسيين، والأخطر من ذلك أنَّ من قاموا باغتياله محسوبون على الأحزاب الحاكمة.¹⁰

أما الاغتيال الثاني، فقد كان للمناضل اليساري شكري بلعيد في 6 فيفري 2012. وأيضاً للمناضل القومي اليساري الحاج محمد البرهمي في 25 يوليو 2013.

إنَّ ظاهرة الاغتيالات السياسية هَزَّتْ المجتمع التونسي، بل جعلت الكثير منهم يحنّ إلى الديكتاتورية. ولقد تجسّم موقف الشعب التونسي المناهض للعنف السياسي من خلال تشبيع مئات الآلاف لجنازة كلّ من شكري بلعيد وكذلك الحاج محمد البراهيمي، حيث فاقت الأعداد كلّ التوقعات، مما جعل العديد من الميليشيات المحسوبة على "الترويكا" تواجه الأعداد الضخمة التي رافقت جنازة شكري بلعيد بعنف غير مسبوق، من خلال حرق سيارات العديد من الشخصيات السياسية والنوابية. ومن خلال رمي "القابيل المسيلة للدموع" بالمقبرة.¹¹ وبالرغم من إيقاف وزارة الداخلية لعدة عناصر، فإنَّ مسؤولية ذلك العنف لم تحدَّ بعد، وتمَّ تناسيها، مما يؤكّد أنَّ للحكومة دوراً في هذا العنف بشكل أو بأخر.

لقد بُرِزَ العنف السياسي أيضاً من خلال العنف المادي الذي مورس ضدّ العديد من الشخصيات السياسية، مثل الأستاذ عبد الفتاح مورو المحسوب على التيار الليبرالي الإصلاحي داخل حركة النهضة، فقد تمَ الاعتداء عليه أكثر من مرّة من قبل السلفيين، وكاد يقتل. وبرز العنف أيضاً من خلال الاعتداء على اجتماعات أحزاب المعارضة، مثل حركة الوطنيين الديمقراطيين بالكاف، قبيل اغتيال شكري بلعيد بفترة قصيرة.

إنَّ هذا العنف شمل كذلك العديد من أفراد المؤسسة العسكرية والأمنية. ولعلَ الاعتداء على ثمانية جنود من الجيش الوطني التونسي في أواخر شهر أوت 2013 بجبل الشعابني، مثل حلقة جديدة مفزعة وخطرة من علاقات العنف والاغتيال السياسي. كما قُتل العديد من أعيان الحرس والشرطة... ومن بينهم الملازم أول كريم الفرشيشي والعريف حامدي يوم 18 أكتوبر 2013 بمنطقة دوار إسماعيل بمنطقة باجة.¹²

¹⁰- جريدة الصباح 20 أكتوبر 2012

¹¹- جريدة المغرب 10 أفريل 2012

¹²- جريدة الشروق 19 أكتوبر 2013



لم يقتصر هذا العنف على المعارضة، بل شمل أيضاً الأحزاب الحاكمة من خلال طرد الرؤساء الثلاثة من سيدي بوزيد في يناير 2013. ومن خلال حرق مقرّات حركة النهضة بالعديد من الولايات.

إنّ العنف السياسي بتونس بُرِزَ عَلَى مَسْتَوِيِّ الْخُطَابِ؛ فَالعَدِيدُ مِنَ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ كَانَ خُطَابُهَا عَنِيفاً، يَتَنَافَى مَعَ قِيمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، فَمثلاً عَبْدُ الْكَرِيمِ الْهَارُونِيِّ وزَيْرُ النَّقلِ التَّابِعُ لِحَرْكَةِ النَّهَضَةِ صَرَّحَ يَوْمَ 30 سِبْتمْبَرَ بِمَا يَلِي: "لَا تَنْتَظِرُوا اسْتِقْلَالَ الْحُكُومَةِ، وَلَا تَضَيِّعُوا وَقْتَكُمْ؛ لَأَنَّ الْأَمَانَةَ الَّتِي حَمَلَنَا اللَّهُ إِلَيْهَا أَمْرَنَا أَلَا نَؤْدِيهَا إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ إِلَهِيٌّ، وَهُوَ فَوْقُ الدُّسْتُورِ وَفَوْقُ الْقَانُونِ"¹³ فَمَاذَا يَعْنِي هَذَا؟ إِنَّهُ عَنْفٌ ضَدَّ الْمَعْرِضَةِ الَّتِي ثَارَتْ ضَدَّ بْنِ عَلِيٍّ لِتَكْرِيسِ نَظَامِ دِيمُقْرَاطِيٍّ مَدْنِيٍّ. إِنَّهُ عَنْفٌ أَيْضًا ضَدَّ مَنْ انتَخَبُوا النَّهَضَةَ مِنْ أَجْلِ بَنَاءِ نَظَامٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ.

إنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ الْهَارُونِيِّ بِهَذَا الْخُطَابِ يُوجَّهُ أَيْضًا عَنْفًا ضَدَّ اللَّهِ مَا دَامَ حُكْمَهُمْ بِتَفْوِيضِ رَبِّانِيِّ وَلَيْسَ بِتَفْوِيضِ شَعْبِيِّ. وَهَذَا عَنْفٌ بُرِزَ أَيْضًا مِنْ خَلَالِ تَسْمِيَةِ الْمُخَالِفِينَ فِي الرَّايَةِ وَالْمَعَارِضِينَ بِجَمَاعَةِ صَفَرِ، وَأَنَّ النَّهَضَةَ سَتَتَصْرُّفُ فِي كُلِّ الْإِنْتِخَابَاتِ الْقَادِمَةِ.

ب) العنف الديني: شهدت البلاد التونسية منذ شهر يناير 2011 تزايداً للعنف غير مسبوق، بُرِزَ ذَلِكَ مِنْ خَلَالِ انتشارِ الْخُطَابِ التَّكْفِيرِيِّ الَّذِي لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَىِ الْمُتَطَرِّفِينَ، بل شملَ أَيْضًا بَعْضَ الْأَطْرَافِ الرَّسْمِيَّةِ. وَلَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ خَلَالِ دُعْوَةِ أَحَدِ الْعَالَمِينَ بِوَزَارَةِ الشَّؤُونِ الْدِينِيَّةِ لِشَعَارِ الْمَوْتِ لِلْسَّبْسيِّ، مَمَّا فَاجَأَ الْمَعْرِضَةَ بِمُخْتَلَفِ أَطْيَافِهَا، الَّتِي بِالرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ الْكَثِيرِ مِنْهَا مَعَ الْبَاحِيِّ قَابِدِ السَّبْسيِّ، فَإِنَّهَا تَضَامَنَتْ مَعَهُ، وَاعْتَرَتْ أَنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الرَّسْمِيِّ لِشَخْصِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ بِولَائِهَا لِلْحُكْمِ الْقَائِمِ.¹⁴

لَقَدْ بُرِزَ أَيْضًا هَذَا العَنْفُ مِنْ خَلَالِ تَكْفِيرِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَنَاضِلِينَ وَتَهْدِيَهُمْ بِالْمَوْتِ، فَمثلاً بَعْضُ الْعَنَاصِرِ الْمَحْسُوبَةِ عَلَىِ السَّلْفِيِّينَ بِمَدِينَةِ جَرْجِيسِ هَدَّدَ شَكْرِيَّ بَلْعَدِ وَأَحْمَدَ نَجِيبَ الشَّابِيِّ بِالْمَوْتِ إِذَا وَطَئَ أَقْدَامَهُمْ جَرْجِيسِ.

ج) العنف السياسي الديني بُرِزَ أَيْضًا مِنْ خَلَالِ الْاعْتِدَاءِ عَلَىِ الْعِلْمِ التَّوْنِيِّ، وَالْهَجُومِ الْكَاسِحِ عَلَىِ الدُّولَةِ وَتَهْدِيَهِ كِيَانِهَا. فَالسَّلْفِيِّونَ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الدُّولَةَ الْقَطَرِيَّةَ الْحَالِيَّةَ بِتُونُسِ وَبِقَيْمَ الْبَلَادَانَ تَنَاقِضُ مَعَ الدِّينِ. وَلَقَدْ تَجَسَّدَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ خَلَالِ وَصْفِ الْعَالَمِينَ بِالْجَيْشِ الْوَطَنِيِّ وَالْحَرَسِ بِالْطَّوَاغِيْتِ الَّذِينَ يَجِبْ قَتْلُهُمْ.¹⁵

¹³- جريدة الصريح 1 أكتوبر 2013

¹⁴- المصدر السابق نفسه

¹⁵- جريدة المغرب 21 آوت 2013



إن العنف الديني السياسي بُرِزَ من خلال استغلال المساجد وترويج خطاب إعلامي ديني يتناقض مع تطلعات الكثير من المسلمين، واتهام منظمات المجتمع المدني، مثل الاتحاد العام التونسي للشغل بالكفر والدعوة إلى قتل رموزه، مثل السيد حسين العباسى. وبرز هذا العنف أيضاً من خلال تصريحات العديد من رموز تيار الإسلام السياسي، ومن بينهم السيد رضا بلحاج، رئيس حزب التحرير بتونس، فأثناء مؤتمر حزبهم في جوان 2012 ذكر أن "نظام الخلافة واجب، مثل الصوم والصلوة"، وأن "الديمقراطية تتنافى ومبادئ الإسلام".¹⁶ ذكر أيضاً أن التأسيسي كمؤسسة منتخبة لكتابة الدستور "خصمنا أمّا الله".¹⁷

إن ما قاله السيد رضا بلحاج خطير جداً، فهو يعني أن المسلم الذي لا ينال من أجل إرساء نظام الخلافة يرتفق إلى درجة الكفر. لا يعتبر هذا عناً ضد بقية التونسيين: مسلمين، ويهود، ومسيحيين، وغيرهم، الذين يعتبرون أن الديمقراطية ومؤسسات الدولة الحديثة لا تتنافى مع الإسلام؟

د) العنف الرمزي: لقد كان العنف الرمزي، ولا يزال، أحد سمات العديد من الأحزاب، ومن بينها حركة النهضة التونسية التي بالرغم من كونها أعلنت مناهضتها للعنف وإيمانها بالتغيير الديمقراطي والتداول على السلطة، لكنها على أرض الواقع تعتبر امتداداً لتيار الإخوان المسلمين الذي يتكون شعاره المركزي من سيفين حاديين لامعين، تتوسط مقبضيهما من الأسفل كلمة: "وأعدوا"، وتحيط بها كلمة "الإخوان" يميناً، و"المسلمون" يساراً، وتتصدر حذبيهما من الأعلى صورة المصحف. لا يعتبر ذلك عنفاً رمزيًّا يتناقض تماماً والانتقال الديمقراطي كما تتشدد المجتمعات المدنية بتونس والوطن العربي عموماً¹⁸ هو بالتأكيد كذلك، واليوم من يتبنى هذا الشعار، فإنه ينذر معارضيه بالويل والثبور وعظام الأمور، إنه يعتبرهم جزءاً من مجال الجهاد.

خلفيات العنف:

1- الأزمة الهيكلية للديمقراطية بتونس وبالوطن العربي:

لقد بُرِزَ ذلك من خلال غياب التربية الديمقراطية عن أغلب القوى السياسية والمدنية، وكذلك من خلال العنف الذي مارسه الإسلاميون ضد خصومهم اليساريين. والشيء نفسه بالنسبة إلى اليساريين والليبراليين ضد خصومهم الإسلاميين.

إن العامل الهيكلـي يـعتبر حالياً من أـبرز مـعـوقـات الـانتـقال الـديمقـراـطي وـعـوـاـمـلـ الـعنـفـ؛ فـأـغلـبـ القـوىـ، سـوـاءـ المـوـجـوـدـةـ بـالـسـلـطـةـ أـوـ الـمعـارـضـةـ لـاـ تـؤـمـنـ بـالـديـمـقـراـطـيـةـ وـحـقـ الـاخـتـلـافـ. فـبـالـنـسـبـةـ إـلـىـ أـغـلـبـ تـيـارـاتـ الـإـسـلـامـ

¹⁶- جريدة الشروق 25 جوان 2013

¹⁷- مصطفى القاعي، حركة النهضة الإخوانية، الأصول والمرجعيات والولاء، نشرت هذه المقالة بـ"الفكرية" سبتمبر 2013، العدد 10



السياسي، فإنّها ترفضها بوضوح، بل تعتبرها من إنتاج الغرب "الكافر"، ويجب التشبّث بنظام الخلافة، ومن بين المنادين بذلك حزب التحرير بتونس والسلفيون. أمّا بالنسبة إلى حزب النهضة، فإنّه من الأحزاب القليلة التي تعتبر أنّ الديمقراطية على الطريقة الغربية لا تتقاض مع الإسلام. وقد أكدت حركة النهضة ذلك من خلال مساهمتها في مجلس تأسيسي مدني ومشاركتها قبل 14 يناير في جبهة 18 أكتوبر التي كان بعض أطراها شيوخ عيّن، مثل حزب العمال الشيوعي بقيادة حمّة الهمامي، لكنّها بعد انتصارها في انتخابات 23 أكتوبر 2011، تنكرت لكثير من مبادئ الجبهة السابقة الذكر، من ذلك أنّها صارت تعارض المساواة بين المرأة والرجل. وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ حزب النهضة غير متجانس في هذا المجال، وقسم كبير من قواعده لا يؤمن بالديمقراطية، ولا تختلف مبادئه كثيراً عن مبادئ السلفيين.

أمّا بالنسبة إلى القوى اليسارية، فإنّ أغلبها حالياً بصدّ مرحلة أطروحته، لأنّ اليسار التقليدي الماركسي (من أتباع لينين أو ستالين أو ماوتسنغ)، كانوا يعتبرون الديمقراطية بمفهومها الليبرالي تحريفاً للفكر الشيوعي. ولا ننسى أيضاً أنّ التجارب القومية من ناصرية، وبعثية، أو حتى تجربة العقيد معمر القذافي، كلّها لم تؤسّس للديمقراطية. والشيء نفسه بالنسبة إلى التجارب الليبرالية بتونس، والجزائر والمغرب، فكلّها لم تفرز أنظمة ديمقراطية.

2- الأزمة الدينية:

من بين أسباب تزايد العنف الخطابُ الدينيُّ "التكفيري" على منابر المساجد؛ فهو يروج أنّ مسألة الديمقراطية "حرام" وتتقاض مع الإسلام. ومن أكثر الأئمة الذين يروّجون لهذا الخطاب أنصار التيار السلفي وأنصار حزب التحرير¹⁸، مع العلم أنّه تمّ الاعتداء حتّى على الأئمة المناهضين لهذا التوجّه، فمثلاً يوم الجمعة 22 نوفمبر 2013¹⁹ في أحد المساجد بمنطقة ميدون التابعة لولاية مدنين تمّ الاعتداء على الإمام المعين من قبل وزارة الشؤون الدينية، وتنصيب إمام سلفي. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ هناك أكثر من مائة مسجد حالياً تحت سيطرة أئمة سلفيين²⁰. إنّ عنف أئمة المساجد وخاصة الموالين للنهضة طال كلّ المعارضين والكثير من منظمات المجتمع المدني، مثل الاتحاد العام التونسي للشغل.

¹⁸- جريدة الشروق 25 جوان 2013

¹⁹- تانيت براس، 22 نوفمبر 2011

²⁰- جريدة المغرب 25 أفريل 2012جريدة المغرب 26 نوفمبر 2013

إن الخطاب التحريري والتكفيري يشمل حالياً الأطفال بالمدارس القرآنية التي يسيطر على البعض منها، على غرار المساجد، الكثير من السلفيين التكفيريين الذين يدرّسون للأطفال الصغار أن الموسيقى والرقص والتصوير كلها حرام؛ مما أثار مشاكل للكثير من معلّمي المدارس الابتدائية.

3- ظهور الميليشيات وبوادر تفكك الدولة:

إن من أبرز العوامل المفسّرة أيضاً لاستشراء ظاهرة العنف بالبلاد التونسية التي تهدّد الانقلاب الديمقراطي ظهور الميليشيات التي تمارس العنف بطريقة منظمة، بل تعتبر نفسها "صوت الثورة" والمدافع عن الشرعية الثورية، بالرغم من كون حكومة النهضة وحلفائها، لم يرتفعوا إلى سدة الحكم نتيجة "شرعية ثورية"، بل نتيجة شرعية انتخابية، أي ما أفرزته انتخابات 23 أكتوبر 2011. ولقد برز هذا العنف على العديد من المستويات، ونذكر منها:

- الاعتداءات التي طالت المعارضين بشارع الحبيب بورقيبة يوم 9 أبريل 2012، التي قامت بها مليشيات مرتبطة بدرجة أولى بحركة النهضة، والدليل على ذلك أنّ على العريض وزير الداخلية في تلك الفترة قبل بتشكيل لجنة تحقيق في الأحداث، ثم بعد ذلك تنكر لها . ونتائج التحقيق لم تظهر إلى اليوم.
- لقد برز عنف الميليشيات أيضاً من خلال اعتدائها على الاتحاد العام التونسي للشغل يوم 5 ديسمبر 2012، وكذلك على العديد من مناضليه.

إن آية دولة مدنية شرعية، لها جيشه وأمنها الداخلي، لا تسمح بتشكيل أمن موازي يهدّد كيان الدولة لكنّ حكومة "الترويكا" بتونس بقيادة النهضة ترى عكس ذلك. ومما يؤكّد ارتباط هذه الميليشيات بنظام الحكم استقبال المنصف المرزوقي رئيس الدولة بقصر قرطاج العديد من قيادات ما يسمّى "بلجان حماية الثورة" في يناير 2013، وهو ما علّقت عليه المناضلة الحقوقية أم زiad بقولها: "لقد وصل الأمر بالمنصف المرزوقي الرئيس الحقوقي أن يستقبل "صاحب الكشكول الأزرق المسمى بـ "ريکوبا" الذي يعتبر فقاعة من فقاعات الثورة، لا يمكننا أن ننكر حقّها في الوجود، رغم ما يشاع عنها من كونها أحد أدّرّع النهضة، فيما يسمى روابط حماية الثورة الخارجة عن القانون...".²¹

إن ضعف جهاز الدولة برز أيضاً من خلال العنف المتكرّر الذي تعرّضت له العديد من مقرّات "الأولياء" التي تعتبر حالياً جزءاً من التراث ومن ذاكرة التونسيين، وإلى الانّ أغلب الحوادث مسجلة ضدّ مجهولين، بالرغم من معرفة وزارة الداخلية للكثير من الفاعلين الحقيقيين.

²¹- جريدة آخر خبر، 15 جانفي 2013

إنّ ضعف الدولة يبرز أيضاً من خلال خروج أكثر من مئة مسجد عن سيطرتها حتى الآن²². إنّ كلّ هذه المظاهر وفرت الإطار الملائم لازدياد العنف الذي أصبح يهدّد بانهيار الدولة الذي سيدفع ثمنه الجميع سلطة حاكمة ومعارضة.

الخاتمة:

تعتبر ظاهرة العنف حالياً، وخصوصاً منذ 14 يناير إلى اليوم، من الظواهر التي أصبحت لافتة للانتباه. ومن أكثر مظاهرها خطورة الاغتيالات السياسية. ولعلّ الطريقة التي قتل بها لطفي نقض سحلاً لم تشهد لها تونس مثيلاً حتى في عهد الديكتاتور بن علي، والحكم نفسه ينطبق على شكري بلعيد ومحمد البراهimi؛ فاغتيالهم من قبل تونسيين في وضح النهار لم يحدث له مثيل في تاريخ تونس المعاصر، سوى اغتيال الزعيم النقابي فرحت حشاد في 5 ديسمبر 1952 من قبل فرنسا.

إنّ ظاهرة العنف ارتبطت بالعديد من العوامل، من بينها عدم إيمان جزء كبير من التونسيين بالاختلاف والتعايش فيما بينهم مهما اختلفت مشاربهم، بل يرى الكثيرون أنّ هناك نظاماً واحداً شرعياً، وهو نظام الخلافة. ومن أبرز الوسائل لمواجهة هذه الأوضاع الحوار، والمزيد من الحوار، وكذلك تطبيق القانون، واستعادة الدولة لهيمنتها.

²²- جريدة المغرب، 62 نوفمبر 2013



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com